في خط مستقيم إلى ميدان عابدين. حين رأى القصر انحرف يسارا في شارع إبراهيم باشا (الجمهورية الآن). هذا هو الشارع المستقيم كخط صارم يفصل القاهرة القديمة عن القاهرة الرومية. لم يعد يفصل شيئا. في الجزائر أيضا شقوا الشوارع العريضة تقطعها الميادين، على منوال أوسمان. لا أتذكر اسم الرحالة الذي قال: «تريد الجزائر أن تكون نسخة من باريس، ولكنها لم تفلح إلا أن تكون صورة بائسة من مرسيليا». انتظر، لم يحن بعد وقت الحديث عن النسخة البائسة، حديث سوق العرَس سيَأتي لاحقا، أجِّل ذلك قليلا. جئنا ننظر إلى صندوق الدين. المبنى ما زَال قائما.

توقف في ميدان الأوبرا. لم تعد فيه أوبرا، أكلتها النار. رأيتها وهي تحترق، أي صدفة! هل كان يوم خميس أو يوم جمعة؟ لم أعد أذكر، ولكني أذكر أنني اصطحبت بناتي لمشاهدة عرض في مسرح العرائس. وفي انتظار موعد بداية العرض اشتريت لهن غزل البنات، يقبلن عليه، الصغيرة تبدو أكثر استغراقا وهي ترفعه في يمينها كأنه علم، لا ترفع عينيها عن كرة السكر الوردي الملتف حول العصا في يمينها، تقضم منها ثم تضحك وتقول: «هرب!» تعجبها اللعبة المراوغة. لا يفوتني ملاحظة أثوابهن، وتصفيفة شعورهن، والبهجة المرتسمة على وجوههن. شعور كأنه الزهو يتسلل إليّ. ثم أنتبه للجلبة وصوت المطافئ وأقف مع البنات على الرصيف المقابل على أطراف حديقة الأزبكية نشاهد النيران وهي تأكل في المبنى، ولكن البنات اكتفين بربع ساعة من مشهد الحريق والمطافئ: «بابا، سنتأخر على العرض!» قطعنا الممر الواقع خلف المسرح القومي، ممرا ترابيا موحشا ومهملا تفوح منه رائحة البول، ولكنه يوصلنا إلى مسرح العرائس. دخلنا، أجلست الصغرى عن يميني والوسطى عن يساري، والكبرى إلى يمين الصغرى. البنات يتابعن الأوبريت يضحكن ويصاحبن بالتصفيق وأحيانا بالغناء صوت الكورَس:

دي الليلة الكبيرة يا عمّي والعالم كتيرة